الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي

أ.م.د. عبد الرؤوف احمد عرسان جرار

جامعة القدس المفتوحة/ جنين/ فلسطين

Christian religion at Maghrab before Islamic conquest

Ass. Prof. Dr. Abd Al-Raouf-A-Jarrar

Palestine / Al-Quds open university/ Branch Jenin

Abstract:

This research deals with the Christian religion at the Maghreb region of North Africa before the Islamic conquest and the obstacles that prevent the Christianity from spreading widely. Despite the efforts made by the Christian clergy, the resistance at Maghreb was associated with the Christian religion. At that time, the Romanian authorities were in paganism, which was imposed on the entire population. However, the followers of Christianity were the weakest in the conflict with the Romanian empire, which oppressed them and that led to the emergence of solidarity movement with the victims of the Roman violent. At the beginning of the fourth century the Romanian authorities embraced to Christianity, and made great efforts to spread Christianity, and legalized itself to intervene in church affairs for giving priority to the party that served to maintain a balance in the country and use it as propaganda when the need arises. But later resistance against Romans evolved within the appearance of Donatism movement after it allied with the rebel peasants who were weary from state taxes, and by Roman landlords, who deprived them of their land and turned them to seasonal workers subject to Mr. Romanian feudal.

الملخص

يتناول هذا البحث الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، ومعيقات انتشارها بشكل واسع، على الرغم من الجهود التي بذلت من قبل رجال الدين المسيحي، فقد ارتبطت المقاومة في بلاد المغرب بالديانة المسيحية عندما كانت السلطات الرومانية تدين بالوثنية، التي كانت تفرضها على جميع السكان، في الوقت الذي كان فيه اتباع الديانة المسيحية هم الأضعف في الصراع مع الإمبراطورية الرومانية، التي نكلت بهم، مما أدى الى ظهور حركات تضامن مع ضحايا العنف الروماني، ومع بداية القرن الرابع الميلادي اعتنقت السلطات الرومانية الديانة المسيحية، وبذلت جهود كبيرة لنشر الديانة المسيحية، وأباحت لنفسها التدخل في شؤون الكنيسة لتغليب الطرف الذي يخدمها في الحفاظ على التوازن في البلاد وتستخدمه كوسيلة دعاية عند الحاجة الى ذلك، لكن فيما بعد تطورت المقاومة للدولة الرومانية بظهور الحركة الدوناتية، التي ارتبطت بمحيطها المغربي، وتحالفت مع الثوار الفلاحين اللذين ارهقتهم الدولة بالضرائب، وضاقت بهم السبل جراء تضييق الخناق عليهم من قبل الملاكين الرومان، اللذين حرموهم من اراضيهم التي تحولوا فيها الى عمال موسميين خاضعين للسيد الاقطاعي الروماني.

المقدمة:

يستعرض هذا البحث، فترة مهمة من تاريخ بلاد المغرب، وهي: فترة الاحتلال الروماني، ودخول الديانة المسيحية الى تلك البلاد كديانة سماوية جديدة مخالفة للديانات الوثنية التي كانت سائدة آنذاك. بدأت الديانة المسيحية تدخل الى بلاد المغرب مع بداية القرن الثاني للميلاد، وتتركز في الغالب بأهم المناطق الحضرية، كديانة معادية للديانة الوثنية الرومانية، التي كانت تركز في الغالب على عبادة الإمبراطور وتقديسه من اجل احكام السيطرة السياسية على البلاد، وتحقيق الولاء المطلق للدولة، مما جعل السلطات الرومانية تظهر العداء وتستخدم كل الوسائل المتاحة لمحاربة الديانة المسيحية، والقضاء عليها.

لكن سرعان ما تغير الوضع، عندما صعد الى سدة الحكم الإمبراطور قسطنطين سنة 312م الذي اعتنق الديانة المسيحية، وامر رعيته باعتناقها، وتبنى سياسية التسامح الديني من اجل احكام السيطرة السياسية على البلاد، لكن الكنيسة في بلاد المغرب انقسمت على نفسها ليبدأ عصر جديد من الصراع الديني والمذهبي، ما بين كنيسة موالية للسلطة الزمنية ممثلة بالكنيسة الكاثوليكية، وأخرى معادية لها تمثلها الكنيسة الدوناتية، لكن انتصار الكنيسة الكاثوليكية افقدها قوة تأثيرها بعد أن كانت ملاذا للمضطهدين والمقهورين من سكان بلاد المغرب الأصليين. الامر الذي أدى الى تراجع انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب وخصوصاُ في الأماكن الداخلية البعيدة عن المدن.

الطبيعة الجغرافية لبلاد المغرب:

تؤلف بلاد المغرب ابتداءً من خليج سرت الكبير حتى المحيط الأطلسي بأقسامه السياسية وحدة جغرافية مستقلة عن بقية أجزاء القارة الافريقية[1] لذلك من الصعب تقسيمه الى وحدات سياسية متميزة عن بعضها البعض، كون المنطقة ذات طبيعة جغرافية، ومناخية واحدة لها خصائصها المميزة[2]، حتى انها عرفت في القرن التاسع عشر لدى الجغرافيين باسم افريقيا الصغرى، تميزاً لها عن بقية أجزاء القارة الإفريقية[3] لكن الضرورة السياسية، والإدارية اوجبت تقسيم بلاد المغرب من الشرق الى الغرب الى قسمين[4]: الأول: شمالي يتفرع الى فرعين: فرع يمتد من الشمال الغربي ابتداءً من طنجة الى الشرق بحذاء ساحل العدوة حتى مليلة (من مدن المغرب التي لا تزال محتلة من قبل الاسبان) ويعرف بجبال الريف، وهي جبال متوسطة الارتفاع تنحذر على شكل قوس الى الشمال من سبتة. وهي مدينة لها تاريخ على مر العصور الإسلامية كونها قاعدة سياسية هامة[5] الى مليلة، تاركاً سهلاً ضيقاً في تلك المنطقة، والفرع الأساسي يمتد من المحيط الأطلسي شمالاً الى وادي سوس نحو الشمال ويعرف باسم اطلس التل[6].

وأما القسم الثاني: جنوبي يمتد من جبال أطلس ويمتد في جوف الصحراء من وادي سوس ويعرف باسم جبال اطلس الكبرى، والى الجنوب سلسلة جبال أخرى صغيرة تعرف باسم جبال درن[7]، اما في الجنوب فهناك سلسلة جبال اطلس التي تمتد من المغرب الأقصى الى المغرب الأدنى، ويليها جنوب الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن بلاد السودان[8].

كان لطبيعة بلاد المغرب الجغرافية أثر حاسم في مصائرها التاريخية، ومعتقداتها الدينية، إذ ان الاتجاه العام لسلاسل الجبال في صفوف موازية للساحل قد يسر سبل الاتصال بين شرقي البلاد، وغربيها حتى بداية المغرب الأقصى في الوقت الذي حصلت فيه الحواجز المنيعة بين الساحل وجوف البلاد، مما جعل بلاد المغرب بلاداً مغلقة امام التأثيرات الغربية[9].

أثرت هذه الطبيعة الجبلية الوعرة وبعد المسافات بين مراكز العمران، وصعوبة الاتصال فيما بينها بشكل عميق على حياة سكان المغرب منذ القدم، فقد طبعتهم بطابع الخشونة، والشجاعة، والجلد، وحب القتال، والاكتفاء بالغذاء الضروري، وأثرت في معتقداتهم الدينية، وهذا ما يفسر قيام سكان المغرب في العصور المختلفة بمقاومة الغزاة والفاتحين، وتراجع انتشار الديانة المسيحية بينهم[10].

معتقدات سكان المغرب القديمة:

آمن البربر في السحر، والشعوذة، والتنبؤ، مما جعلهم سريعي الانقياد للزعماء، والقادة الذين عرفوا استغلال هذا الضعف، ولهذا نرى ان معظم الحركات السياسية في المغرب تزعمها أناس باسم الدين، واستخدموا السحر، والشعوذة، والخرافات لجذب الأنصار، والأتباع الى معتقداتهم[11]، ويبدو أن البربر لم يكن لهم اديان ثابتة قبل الإسلام [12]، لذلك نجدهم قد تعلقوا بمظاهر الطبيعة، فقد قدسوا الكواكب، والحيوانات، وعدّوا بعضها رموزاً مؤلهه، وكان للكهوف والمغارات مقام رفيع عندهم، لاعتقادهم حلول الأرواح بها[13]، كما انتشرت الديانة اليهودية بين البربر بشكل محدود، فقد وجد عدد من اليهود كتجار او مرابين[14] وبعد ظهور الديانة المسيحية في المشرق انتقلت الى بلاد المغرب، وأخذت تنتشر بين السكان الأصليين، لكن هذا

الانتشار كان سطحياً وضعيفاً، بمعنى أنها انتشرت بالاسم في بعض الأماكن القريبة من السواحل وفي المدن، ولم يكن لها غلبة، أو نفوذ، بدليل أن العرب المسلمين لم يجدوا صعوبة في جذب سكان المغرب للإسلام[15].

منذ فجر التاريخ، وقبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام كانت ديانة البربر ديانة زُرّاع، ورعاة موجهة نحو وقاية الحقول، والمحاصيل من الامراض ونموها ووفرتها، وجودة قطعان الماشية، وزيادة عددها[16]، وقد كان للمعتقد البربري في بلاد المغرب اتصال عظيم بمظاهر الطبيعة، وما فيها من عظمة، كما قدسوا العديد من الحيوانات، واعدوها رموز مؤلهة، كذلك كان للكهوف، والمغارات مقاما رفيعا بسبب ما يعتقدون من حلول الأرواح بها، فهم يتبركون بما فيها من مياه ساخنة، او باردة، ويقدمون لها القرابين الحيوانية، وأحيانا البشرية توسلا لقضاء حوائجهم[17]، وقد يكون السبب في ترسيخ هذه العبادات الوثنية طبيعة المناخ القاسي، والحاجة الى كميات كثيرة من المياه التي كانت تتوفر في الينابيع الدائمة الجريان، والأرواح التي تولدها، او تسكنها كما كانوا يعتقدون، والمطر الذي يجعل المراعي تخضر، ويضمن خصوبة محاصيل الحبوب، وغزارة انتاجها. كانت هذه الضرورة تصور للبربر دور الالهة في القيام بالأعمال الخارقة، وولدت طقوسا سحرية، ودينية اعتقد عدد من سكان المغرب انه بدون أدائها لا يمكن للمياه الثمينة ان تنفجر، وتتدفق من هذه الينابيع، او تنزل من السماء[18]، وقد كان للوثنية قسط، وافر في تطور الدين المسيحي، وهو قسط غير مباشر، ولا منظور، فقد كان للوثنية اليونانية، والفارسية هيمنة على الديانة المسيحية، او دمجها في بعض معتقداتها[19]، وكانت بلاد المغرب قبل دخول المسيحية اليها تدين بالوثنية بمختلف تعاليمها الموروثة، وكان هناك عدد قليل ممن اعتنقوا الديانة اليهودية قبل دخول الديانة المسيحية إليها[20]، ويجب علينا ان نتذكر دائما ان معظم الذين امنوا بالمسيحية في بدايتها لم يكونوا يهود كما يدعي البعض، بل كانوا وثنيين يعبدون الاصنام، او مظاهر الطبيعة. ولا بد من الإشارة هنا أيضا الى ان هؤلاء المؤمنين بالديانة المسيحية شهدوا فترة عصيبة محتدمة ساعدت على تلفيقات كثيرة، ومما لا شك فيه ان الديانة المسيحية، وضعت المؤمنين بها على درب الوثنية القديمة بدمج الديانة المسيحية بمعتقدات وثنية. ولعل اهم هذه الدروب تتمثل بالاهتمام والإخلاص عن طريق مخلص او وسيط[21].

معتقدات الرومان:

كان الرومان قبل اعتناق الديانة المسيحية على دين الصابئة يعبدون الأوثان، والتماثيل التي تصنع للظواهر العلوية، والأجرام السماوية، ويعبدون النار، والموتى من اسلافهم، ويجعلون ذلك كله في زعمهم وساطة بين العلة الأولى، والخليقة. وقد كان لهم الهة متعددة ؛ فللحرب إله، وللسلم إله، وللمطر إله حتى انه لا يعرف دين فيه عدد الالهة ما بلغه عند الرومان، واشتهر بين هذه الالهة الوثن المعروف جوبيتر؛ فهو اله الآلهة له حق النظارة على جميع أربابهم، وله حق الترجيح عند اختلافهم، وجعلوا له اشكال متنوعة. وهم بالإضافة الى ذلك يقدسون الإمبراطور تقديسا كبيرا، ومنهم من كان يتمثل معبوده في الديدان فيطعمونها الفول الأسود، وغايتهم من هذه العبادة كلها الفوز بالانتصار في المعارك والحروب، ودرء المصائب عنهم. وقد اندمجت هذه العقائد بغيرها من عقائد البربر، وأسبغت عليها الديانة البربرية طابعها الخاص[22].

كما اعتقد الرومان ان العالم خاضع لقوى غير مرئية، يظهر نشاطها في الظواهر الطبيعية وكانوا يطلقون عليها اسم الأرواح النشطة[23]، وهي في نظرهم تسيطر على حياة الانسان فتحسن إليه، او تجلب عليه الأضرار، وتخرج هذه القوى أحياناً من مخابئها، وتمس الأشخاص، او الأشياء فتدنسها، وتجعلها خطرة على حياة المجتمع، ويظهر تأثيرها على الناس في حالات منها الحوادث غير الطبيعية[24] وقد عبد الرومان هذه الأرواح، وعدّوها في مصاف الالهة التي تعبد، وكانت هذه الالهة حسب اعتقادهم تظهر في صور معنوية مجردة كالصحة، والشباب او الذاكرة او الحظ او الشرف او الامل او الخوف، وكان منها أرواح للمرض يصعب استرضاؤها كالأطياف، والأرواح والموتى، ومنها أرواح فصول السنة[25]، وكان عدد هذه الأرواح كثيرة غير ان الرومان لم يهتموا بتلك الأرواح التي يؤثر نشاطها عليهم، فقد اهتموا ببعض الأرواح التي تتحكم في المحاصيل والماشية [26] لذلك كان الغرض من الطقس الديني هو حث الروح على القيام بوظيفتها بطريقة مرضية للعابد لهذا كان كل

انسان كاهن بنفسه عند التعامل مع الأرواح التي تؤثر على مزرعته ومنزله[27]، كما اعتقدوا ان قيمة التضحية تتوقف على مقدار النعمة المتوقعة، وفي الغالب لم تكن التضحية تكتمل إلا بعد ان يقدم الشخص الخدمة المنشودة للآلهة[28].

وكانت عبادة الموتى تشغل مكانا كبيرا في حياة الرومان الدينية، وترجع أصولها الى المفاهيم الرومانية الأولى التي كانت تنص عى انه يبقى من الميت بعد وفاته روح يجب ارضائها حتى لا تغضب لأنه بإمكانها ان تحسن او تسيء الى الأحياء، ولهذا كانت تقدم الهدايا الى القبور، وتقام أعياد مشتركة على شرف الأموات لتهدأ الأرواح، وتطرد الاشباح الشريرة التي تجلب كل ما هو قبيح[29]، وكانت هناك الهة اخرى كثيرة لدى الرومان ؛ حتى قيل لا يعرف دين قط بلغ فيه عدد الالهة ما بلغه عند الرومان، وقد قدرها البعض بثلاثين الفاً[30]، وشملت الالهة كل أنواع الحياة، فكانت الاسرة مقدسة وكل مظهر من مظاهر حياتها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعالم الروحي، ولها عدداً من الالهة التي ترعاها، وتعني بها وتحافظ عليها[31]. اما على المستوى الرسمي فقد كانت الدولة الرومانية ترعى هذه الآلهة، وكانت تخشى من عدم إرضائها، والتزمت دائماً بعدم إغضابها بل استشارتها قبل اتخاذ أي عمل لأن هدف الرومان دائماً هو السلام مع الالهة والتقرب منها[32]، ونتيجة لالتزام الدولة بإرضاء الالهة وعدم اغضابها، والعمل بمشورتها اعدت الديانة الرومانية الرسمية فرعاً من فروع الإدارة، مهمته تنظيم العلاقات بين مجموعة المواطنين، والآلهة الراعية. وقد اسند هذا الفرع الى مجلس من الكهنة برئاسة الكاهن الأعظم، ووضعت مهمة استطلاع مشيئة الالهة في يد مجلس العرافين[33] ولهذا وضعت الدولة الرومانية نظماً كهنوتية لهذه الالهة، ووزعت السلطة الدينية عليها يرأسها الكاهن الأعظم الذي ورث السلطات الدينية التي كانت للإمبراطور [34].

كان الرومان في تلك الفترة كغيرهم من الشعوب يعبدون الاوثان. وهم يرمزون بها الى الهة جمة، وقد اخذوا عدد من اصنام البربر وسموها بأسماء رومانية، وكذلك اخذ البربر بعض اصنام روما وسموها أسماء بونيقية[35] مما يعني ان هناك عدد من البربر والرومان كانوا يعبدون –نوعا ما– الهة موحدة. وتعد الوثنية احد اركان الحكومة ونظامها، وراح الوثنيون يربطون بين الهتهم وبين مجد الدولة وعظمتها، ويحاربون المسيحية التي تعادي الوثنية ولا تعترف بالولاء للسلطة، وزاد أعداء المسيحية من يهود وأصحاب مال وثنيين ليلاقي اتباع الديانة المسيحية الاضطهاد الى درجة انهم كانوا يتعرضون الى الانتقام[36].

دخول الديانة المسيحية الى بلاد المغرب:

كانت الطريق التي سلكتها الديانة المسيحية الى بلاد المغرب محل نقاش طويل بين المختصين في الدراسات المسيحية، غير انه يتضح في هذا النقاش نوعا من الاجماع على الدور الذي لعبه التجار الشرقيون في نقل الدين المسيحي الى مدن المغرب الساحلية، مثل: قرطاجه وغيرها من المدن الكبرى التي كانت ملتقى للتجار الشرقيين، الذين كانوا قد هيأوا الوضع لبذر البذور الأولى للديانة المسيحية في بلاد المغرب[37]، رغم ان البعض الاخر يرى ان دخول المسيحية الى بلاد المغرب كان عن طريق مصر، وهناك روايات تشير الى ان المسيحية وصلت الى شمال افريقيا على يد مبشرين وصلوا اليها من فلسطين، الموطن الأول للديانة المسيحية، وربما عن طريق روما من خلال البعثات التبشيرية القادمة من هناك في القرن الثاني الميلادي[38] اذا سلّمنا ان قرطاجة والمدن الساحلية كانت المحطة الاولي للمسيحية في الشمال الإفريقي (وهو ما يدعمه اعتبار البروقنصلية أولى الولايات التي وصلتها المسيحية وفق رأي اغلب المؤرخين، (العبارة بالاخط الاحمر غير مفهومة ارجو مراجعتها) الذين يرون ان دخول المسيحية الى بلاد المغرب كان بنفس المسلك الذي سلكته الى روما، حيث قصد المبشرون القادمون من المراكز الحضرية الساحلية أولا، ثم المدن الداخلية قبل التسلل الى الأرياف[39]، فاعتنقها مجموعات من البربر ممن سكنوا في هذه المناطق، وانتشر الرهبان بين البربر، فكانت المسيحية سبيلاً للاتصال بين الرومان في العصر الروماني (146م–435ق.م) وبين الآهلين، وكانت الكنائس وسطاً صالحاً للاتصال والتفاهم، وبهذا وفق الرهبان فيما عجز الحكام عن القيام به، وهو اجتذاب نفر من أهل البلاد إلى الدخول في الديانة المسيحية الوافدة[40]، على الرغم من الاقبال الضئيل على

الديانة المسيحية في تلك الفترة الزمنية[41] ولم تستطع الديانة المسيحية ان تقضي على التصور الديني القديم الذي كان سائداً عند البربر [42].

اما عن اسباب اعتناق العديد من البربر للديانة المسيحية، فقد كانت الرغبة في العدالة الاجتماعية، وفشل الديانة الرومانية الرسمية المتمثلة في عبادة الإمبراطور وغموضا، وتعدد المعتقدات الوثنية وتنوعها التي لم تستطع تحقيق الوئام والتوافق الاجتماعي، وكانت وراء تعثر انتشار المسيحية، التي كانت تحمل في ثناياها معاني العدل والتسامح والتآزر الاجتماعي[43]، كما ان العداء المستحكم بين سكان بلاد المغرب، والرومان كان له دور أساسي في اعتناق بعض البربر للديانة المسيحية، وتحويل هذا العداء السياسي الى عداء ديني مستحكم في نفوس سكان المغرب من البربر.

اعجب جماعات من البربر بهذا الدين، الآمر بالأخوة، والمساواة، وأخذوا يدخلون فيه، وأصبحت لهم بيع صغيرة منتشرة في مناطقهم[44]، وفي هذه الظروف الحياتية الصعبة اخذ المبشرون المسيحيون على عاتقهم التقرب من الطبقات الفقيرة بالتصدق بالأموال، والزهد في ملذات الحياة، وقد ساعد على ذلك ان السلطة في البداية، كانت متسامحة نسبيا إزاء هذه المعتقدات ما دام معتنقيها لم يتعرضوا للمصلحة العليا للإمبراطورية بسوء[45]، لكن نمو وتزايد الديانة المسيحية والدعوة الى الفرار من الجندية التي نسبها البعض الى كومودوس استدعى تدخل السلطة[46] التي انزعجت من الأمر، وأخذت تبث العراقيل في سبيل انتشار الديانة المسيحية[47]، كما ازعج الدولة الرومانية التواصل بين المسيحين، واليهود الذي كان يحصل احيانا، فاتخذت إجراءات صارمة تمنع هذا التواصل من قريب او بعيد[48]، ويرى الباحث ان هذا التواصل كان محدوداً، نظراً للعداء التاريخي بين المسيحية، واليهودية منذ ان جاء السيد المسيح بتعاليمه السمحة، التي تدعو الى السلام والمحبة، وربما كان هذا التواصل لمصالح مشتركة سرعان ما انتهت، وتحول هذا التواصل فيما بعد الى عداء مزمن.

كانت السلطة تنظر الى الناس على انهم عبيد مسخرين لخدمة الدوله الرومانية[49] وقد كانت الأراضي الزراعية مملوكة للامبرطور، ولكبار العائلات الأرستقراطية، ويشرف على هذه الأراضي مسئولون ينظمون عمل الأقنان والمياومين، ومن يملك ارضاً من صغار الفلاحين عليه دفع الضرائب الباهضة، بالإضافة الى الخراج[50].

وبناء على ما حصل من تداعيات وقرارات ظالمة لسكان المغرب، ظهر هناك تمرد من قبل البربر الذين اعتنقوا الديانة المسيحية، كديانة معادية للوثنية، لذلك كان لا بد من تدخل السلطات الحاكمة، وكان هذا التدخل فاتحة للاضطهاد كل من آمن بالديانة المسيحية في بلاد المغرب، كما حصل في عهد الإمبراطور كومودوس سنة 180م[51] ويتجلى هذا العداء للمسيحية خاصة في المدن الكبرى، والتي تحوي جاليات رومانية كبيرة، وكذلك الضيعات المملوكة للرومان في الأرياف البعيدة عن المدن[52] اتبعت الإمبراطورية الرومانية سياسة للحد من انتشار المسيحية في بلاد المغرب، فأخذوا يبثون العراقيل في سبيل نشر الديانة المسيحية، فكانوا يسجنون معتنقي الديانة المسيحية، أينما وجدوا، سواء بايطاليا او المغرب، ويحكمون عليهم في كثير من الأحيان بالإعدام[53] ومن الأمثلة على ذلك ان السلطات الرومانية حكمت سنة 180م على اثني عشر مسيحياً بالإعدام بقرية شيلى، وتلت ذلك أحداث أخرى مماثلة في نوميديا، وفي نفس السنة حكم بالإعدام على جماعات أخرى في مداوروش[54] وكثيرا ما كان الرومان ينفذون احكام الإعدام بطريقة بشعة ومقززة، فقد كانوا يجمعون الناس في يوم مشهود بإحدى الملاعب الكبيرة، ويخرجون أولئك التعساء من نساء ورجال في وسط الملعب، ويطلقون عليهم الاسود الكاسرة الجائعة، فتمزقهم ارباً ارباً، وتأكلهم على مرأى، ومسمع الجموع المتفرجة[55].

تواصل الاضطهاد في عهد الإمبراطور سفيروس الذي اصدر مرسوماً سنة 202م، يمنع بموجبه التبشير بالديانة المسيحية، أو الدعوة الى الديانة اليهودية، في جميع الأماكن التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية، وكان من نتائج هذا المرسوم القبض سنة 203م على ستة مسيحيين كانت من بينهم امرأة في عنفوان الشباب، والقي بهم على مرأى العامة للحيوانات المفترسة في مشهد عنيف ومقزز[56].

بعد وفاة سيفورس تمتع المسيحيون بفترة هدوء، مارسوا خلالها شعائرهم دون تستر لبعض الوقت، وعقدت عدة مجامع كنسية، أولها في عهد خليفته كراكلا سنة 215م، واستمر الوضع على ما كان عليه في فترة حكم سيفورس، لكن الوضع تغير، عندما اعتلى دقيوس العرش، فقد اصدر مرسوماً سنة 250م، كان له نتائج وخيمة على المسيحية، ارتد على اثره عدداً كبيراً منهم[57] فقد طلب دقتوس من رعاياه ان يعلنوا وطنيتهم بإعلان التمسك بالديانة الوطنية المتمثلة في عبادة الاباطرة الى جانب الهة روما، والتنصل من كل العبادات الأخرى وخاصة المسيحية[58] في محاولة لتوحيد الدين في جميع أقاليم الدولة[59] بعد وفاة دقيوس تمتع المسيحيون بفترة سلم ، ووفاق مع السلطة الزمنية دامت أربعين عاما استغلت في تعميق العقيدة في نفوس الناس، وإنشاء الكنائس[60] لكن وصول الإمبراطور ذيوقليسياس الى السلطة، وفرضه عبادة الإمبراطور على الجند من جديد، كان من نتائجه العصيان، والفرار من الجيش، ورفض العسكرية، كما أصدر هذا الإمبراطور أربعة مراسيم خلال سنتي 303–304م، يمنع بموجبها اعتناق الديانة المسيحية، ويأمر بهدم الكنائس، ومنع الاجتماعات الدينية، وهو ما كان وراء هذه الإضطهادات الكبرى التي عرفها عهد ديوقليسيانوس، الذي يعد من اكبر جلادي النصارى، وفي هذه الفترة ارتد عدد كبير من النصارى عن الديانة المسيحية خوفا من بطش الإمبراطور بهم[61] وعطلت كنائسهم، وصودرت املاكهم. الامر الذي أدى الى تراجع الديانة المسيحية في جميع ارجاء الإمبراطورية الرومانية عامة، وفي بلاد المغرب خاصة.

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي، قام الإمبراطور ماكنوس على الإمبراطور قسطنطين، فاشتعلت بين الفريقين نيران حرب اهلية هائلة. وكان كل منهما يدعي احقيته بالملك، وكان لهذه الاحداث انعكاسات خطيرة على بلاد المغرب، فجرت به الفتن، وهاجمت الجموع الثائرة المدينة، ونهبتها. وأخيراً استقر الامر الى قسطنطين سنة 312م بعد انتصاره على ماكنوس[63] اعتنق الامبرطور قسطنطين الديانة المسيحية، واعلى من شأنها في البلاد وجعلها الديانة الرسمية للدولة، وأمر ببناء المعابد، والكنائس في جميع أقاليم الإمبراطورية، وأعلن مرسوماً اطلق عليه مرسوم ميلان يمنح بموجبه الحرية المطلقة في الاعتقاد لجميع سكان الإمبراطورية الرومانية، واستمرت هذه الحرية في الاعتقاد مدة حكم الإمبراطور قسطنطين الى حد ما.

تراجع انتشار الديانة المسيحية عند البربر:

أصبح الإمبراطور قسطنطين حاميا للمسيحيين، وقساً وثنياً في آن واحد، وقد يكون قد جمع بين هذه المتناقضات لأهداف سياسيه، أو لضرورة ملحة لتثبيت ملكه في حكم الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف، والتي تجمع تحت مظلتها العديد من القوميات، والأجناس والشعوب المختلفة.

انتشرت الديانة المسيحية بين الرومان، وأصبح معظمهم يدينون بالمسيحية في القرن الرابع الميلادي، لكن الرومان بعدها لم يلبثوا ان الغوا تلك الحرية الممنوحة للجميع على عهد قسطنطين من حرية دينية وغيرها، وأحدثوا قوانين صارمة لضربها على أيدي الوثنين والمارقين، وهم في نظرهم القوم الذين لا يرون ما تراه السلطة القائمة يومئذ من رأي[64]. اما فيما يخص سكان المغرب، ما كانت المسيحية تعلن ديانة رسمية حتى فر منها الكثير من معتنقيها البربر لأنهم اعتنقوها فراراً من سلطة الرومان، ومن اجل التمرد عليها، كما اتخذوها وسيلة لنزع السلطة الرومانية، فلما أصبح الرومان انفسهم يعتنقونها، اخذ البربر يفتشون على وسيلة أخرى معادية للدولة[65] ورغم هذه المحاولات كلها فقد دخل على الدين المسيحي من عوائد الوثنية وغيرها ما امتزج به في اغلب مظاهرها، وحدث القول بالتثليث، فقبله من قبله ورفضه جماعة كان على رأسهم القس الراهب اريوس الاسكندراني المولود سنة 270م والمتوفي سنة 336م[66] ورغم أن الكنيسة نجحت في تنظيم نفسها بفضل هذا التحالف، وأنشأت الكثير من الكنائس، فإن المسيحية بقيت في المدن الساحلية، والسهل الساحلي لسبب واضح، هو ان النفوذ الروماني البيزنطي لم يكن يتجاوز هذا النطاق، وبقيت الأماكن الداخلية خارج النفوذ البيزنطي من ناحية وبعيدة عن نفوذ الكنيسة الافريقية من ناحية أخرى[67] ولا ننكر أن بعض التأثيرات قد نفذت الى بعض النواحي الداخلية، غير أن توماس أرندولد يشك اطلاقاً في امتدادها الى قبائل البربر في المناطق الداخلية لسبب واضح، هو ان القبائل البدوية لم تتقبل الحضارة الرومانية، وكانت تقف

من الدولة البيزنطية موقف العداء الصريح، وأنها كانت دائماً تهدد مناطق الاستقرار، ومناطق النفوذ البيزنطي بالإغارة المستمرة[68] وخصوصاً عندما انجلت قوة الدولة الرومانية في القرن الخامس الميلادي، فقد احتشدت قبائل مختلفة من البربر في جماعات كثيفة، وسارت من الجنوب تعيث في الأرض فساداً، وتخرب المدن الغنية التي تقع على الساحل، وكان هؤلاء الغزاة وثنيين من غير شك، فقد نهبوا الكنائس واحرقوها، ونقلوا الآنية المقدسة لاستخدامها في عباداتهم الوثنية الخاصة[69] والى جانب ذلك عرفت المسيحية في بلاد المغرب الانحرافات المذهبية، المتأثرة بالأفكار الآتية من المشرق البعيد عن طريق مصر، مثل مذهب الحلول الإلهي، ومذهب الثنوية وغيرها من المذاهب البعيدة عن تعاليم الديانة المسيحية التي بشر بها السيد المسيح علية السلام.

ثم ان الكنيسة المغربية عرفت انقساماً خاصاً بها وهو المذهب الدوناتي نسبة الى صاحبة دونات الكبير اسقف الوطنيين، الذي رفض الاعتراف بشرعية انتخاب سيلييان اسقفاً لقرطاجنة، فأعلن دونات طلب الاستشهاد، واستجاب له كل الساخطين على الدولة، من طبقات الكادحين[70] حاول قسطنطين إيجاد توفيق بين الطرفين، فلم يفلح واستفحل الشقاق بينهما[71] ولم يكن الخلاف عقائديا ؛ وإنما كان حول شرعية الحكم الاسقفي في قرطاج، واعد الدوناتيون انفسهم احق بإدارة الأسقفية، وبأنهم المعبر الفعلي عن المسيحيين في المنطقة[72] ولم يكتفِ الدوناتيين بالجدل، والمنطق بل اتخذوا خطوات عسكرية فعلية، فألفوا جيش من اشد الدوناتيين تعصباً، واخذوا يجوبون أطراف البلاد تحت اسم المتجولين، بدعوى ضم جميع المسيحيين اليهم. ويرى الدوناتيين أنفسم انهم احق الناس بخلافة الحواريين (انصار عيسى عليه السلام) من غيرهم[73].

ان الصراع الدوناتي الكاثوليكي قام على أساس العداء للسلطة ولمن كان يتعامل معها من خلال المحن السابقة، مما جعل منها حركة تستقطب الأهالي الذين آزروها، ووقفوا الى جانبها في الأوقات التي تعرضت فيها للأحكام القاسية من قبل السلطة التي كانت باستمرار تحاول ان تقوي الطرف الكاثوليكي الذي يتشكل من الطبقات الارستقراطية الموالية للسلطة، والغنية من المعمرين (والمترومنين ما هذه الكلمة) الأغنياء الذين أبقت عليهم السلطة كوسيلة ضغط على الأهالي[74] لذلك من الطبيعي ان يكون اغلب الدوناتيين من العبيد والعمال، وممن لا يملكون في هذه الدنيا غير أجسامهم. فاتخذوا لأنفسهم مذهباً اجتماعياً خليط، قريب من مبادئ الشيوعية، والفوضوية ويقولون أنهم يريدون أن يقرروا مبدأ المساواة التامة في الرزق بين الناس. وأنهم لا يعترفون بأية سلطة. واخذوا يتجولون في البلاد، وانقلبوا الى عصابة نهب، وسلب ترتكب اعظم الفظائع، وتقوم بالمذابح. ولم يبق لهم من الصبغة الدينية أي شيء، فأخذت الدولة الرومانية تتعقبهم الى ان تمكنت من القضاء عليهم، وقطع دابرهم في آخر القرن الرابع الميلادي[75].

لكن الدوناتيين الحقيقيين، وأغلبهم من أبناء البربر استمروا محافظين على قوتهم، وصلابتهم. يترقبون فرصة الانقضاض على السلطة الحاكمة، وكانت حركتهم سياسية ترمي الى التحرير من ظلم الرومان. متقمصة في ثوب حركة دينية. وأعظم أسباب هذا الهيجان العظيم هو النظام الاستعماري الروماني الذي ملك الأرض لمجموعة منتفعة من الموالين للدولة، وحرمان السكان الاصلين من اراضيهم[76].

هذا في الظاهر، لكن الواقع اثبت ان هذا المذهب بحسب مبادئه الاقتصادية والاجتماعية انه ثورة على نظام الحكم السائد يومئذ في بلاد المغرب، وقد أصدرت الحكومة في تلك الفترة أوامرها الصارمة على اتباعه، فلم يحتفلوا بها، واستمروا في الدفاع عن مذهبهم، لأنهم كانوا يريدون الخلاص من أسر الاستعباد، والاستعمار الأجنبي، ويتضح ذلك بما احتوت عليه تعاليمه للثورة على قواعد الحكم الروماني الاستبدادي[77]، ويعتقد معظم المؤرخين المعاصرين أن الدعوة الى الدين الجديد بدأت اثناء القرن الثاني الميلادي داخل جماعات شرقية في المدن الساحلية، ثم نقلها الجنود الى المدن الداخلية الصغيرة، وقوة الإمبراطورية في اوجها، واستغلال شمال افريقيا على أشده. ومهما يكن من امر فهناك دور واضح للطبقات الفقيرة، في المدن والأرياف، في نشر تعاليم النصرانية، فما لا شك فيه هو أن المسيحيين كانوا آنذاك يعادون سلطان روما، وان الأساقفة المغاربة

كانوا يميلون الى الاستقلال، ويرفضون سيطرة اسقف عاصمة الأمبراطورية عليهم[78] وما يؤكد ذلك انه عندما تصالح قادة الكنيسة في بلاد المغرب مع الإمبراطور، بقيت الرغبة وفية لما تعودت عليه من استقلال ومن حماس للإستشهاد في سبيل ما اعتقدوا به، ومن عداء لحاكم روما.

تهافت المغاربة على الانضمام الى الحركة الدوناتية كنوع من التمرد على سلطان روما، وأعطوا لكنيستهم المحلية صبغة قومية، واضحة دون أي اعتبار لمفهومة الكثلكة أي الجماعة، ومحو كل مسيحية تكيفت مع واقع التفاوت الاجتماعي الذي فرضه عليهم من الحكام الرومان[79].

رفع البربر علم الثورة على الرومان وهي في الواقع ثورة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفي الظاهر ثورة دينية، وحاولت كنيسة قرطاجنة القضاء على الدوناتية[80] وقد تسبب الانشقاق الدوناتي خلال قرن من الزمن في مواجهات دموية كثيرة. وانتشر الرعب بين كبار الملاكمين بسبب ما احتوت عليه الحركة الدوناتية من أهداف ثورية اجتماعية، لكن السلطة الحاكمة تمكنت في النهاية من الانتصار على الحركة الدوناتية، وإخضاعها[81].

اذا اردنا ان نقيم السياسة الرومانية تجاه الدوناتيين، نجد انها كانت لها نتائج عكسية على السلطة الحاكمة، لأنها أذكت العداء الأهلي اتجاهها، وزادت من شعبية، وقوة الحركة الدوناتية، وتحولت الى حركة معارضة للاحتلال الروماني في منطقة المغرب القديم عموما، ونوميديا موطن الدوناتية خصوصاً، وخاصة بعدما أظهرت قدرتها على التنظيم، والمواجهة أثناء احداث باغاي سنة 347م، وفشل السلطة الرومانية في إقرار الوحدة الدينية بالقوة، بعدما فشلت في إفراغ الدوناتية من محتواها الشعبي بواسطة المساعدات الغذائية، التي رفضتها الحركة الدوناتية، واستجاب السكان لذلك الرفض، مما يؤكد على ان هذه الحركة كانت قوية من الناحية التنظيمية، والإدارية، وان استجابة السكان لرفض المساعدات الغذائية وهم في حاجة ماسة اليها، أعطى انطباع دلل على قوة الجانب التنظيمي لهذه الحركة وتأثيرها على عدد كبير من سكان المغرب الذين رفضوا الظلم بكافة اشكالة[82].

شكلت الحركة الدوناتية بجميع عناصرها أهم حركة مناوئة للوجود الروماني في بلاد المغرب خلال القرن الرابع للميلاد، واتصفت بالشمولية، والامتداد الزمني، والانتشار الجغرافي، وإن تمركزت قيادتها في نوميديا، ومن ثمة فهي أطول حركة مقاومة شهدتها بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، تميزت بالاستمرارية، والقدرة على تنظيم الأهالي، بما في ذلك الذين لا يدينون بالمسيحية، أي انها كانت حركة ثورية شاملة ضد الوجود الروماني في بلاد المغرب[83] بعد ان تحولت من المعارضة لشرعية انتخاب أسقف قرطاج، إلى حركة ذات بعد اجتماعي وسياسي بوقوفها إلى صف الطبقات المسحوقة في المجتمع المتضررة من النظام الروماني الجائر، ومن المستفيدين منه من أصحاب المال والنفوذ، والذين كوّنوا ثرواتهم من شقاء الأهالي[84].

لقد ارتبطت حركة التنصير الديني في بلاد المغرب القديم بحركة الرومنة، خصوصاً بعد تنصر السلطة الرومانية، وتبنيها للديانة المسيحية كديانة رسمية للدولة، وظلت هذه الديانة منتشرة في أهم المدن ذات الأغلبية الرومانية، وتقل كلما ابتعدنا عنها، وعن السواحل باتجاة الريف المغربي، حيث كانت تكثر اعداد المتمردين على السلطة، وتكاد اثار اتباع الديانة المسيحية تنعدم في المناطق الأهلية البعيدة، التي لم تصلها سلطة الرومان، او كان وجودها فيها ضعيفا، لذلك بقي اغلب سكان تلك المناطق النائية على وثنيتهم حتى الفتح الإسلامي[85].

بعد هذا الانتشار الواسع للدوناتية بين البربر في بلاد المغرب والتي اخذت تشكل خطرا واضحا على الوجود الروماني في بلاد المغرب اكتسحتهم جيوش الدولة الرومانية المناطق التي انتشرت فيها الدوناتية، مما أدى الى انهزام الدوناتية وانتصار الرومن[86] وعلى ما يبدو ان هذا الانتصار كان انتصارا عسكريا ولم يكن فكريا، ومما يؤكد ذلك هو عدم انخراط اتباع الديانة الدوناتية بمذهب الدولة الرومانية صاحبة السلطة والسيادة.

لكن هذا الانتصار لم يدم مدة طويلة ولم يلبث الوندال أن اقبلوا خلفاء للرومان على افريقية، وفرضوا على السكان مذهبهم الآريوسي الذي يقول بطبيعة المسيح البشرية[87] واضطهدوا الكاثوليك وصادروا أملاك الكنيسة، واستعملوا ضد الكاثوليك الوسائل العنيفة التي استعملوها ضد الدوناتيين[88] ويعلق على ذلك العربي محمد عقون بقوله: "كان الاضطهاد الديني فظيعا خلال الحكم الوندالي، ولا يعادله إلا الاضطهاد ديوكليتياس للمسيحيين الأولين، لأن الوندال جعلوا مذهبهم الاريوسي مذهباً رسمياً للدولة، وأدت الخصوصيات الإقليمية الى تكريس الانقسام في غياب الامبرطورية"[89].

انضم كثير من سكان شمال افريقيا الى الوندال اللذين اتخذوا من مدينة بونة "عنابة" عاصمة لهم، واخذوا يستوطنون في جميع انحاء المغرب، وقد ساعدهم أبناء البربر الذين استمالوهم بلطف ومجاملة، باثارت حقدهم على الرومان، وسلطتهم المركزية التي شرعت القوانين لانتزاع أراضيهم،والتي عادوا اليها وامتلكوها، وبذلك استولى الوندال على معظم ولاية افريقية، وانقضت مراقبهم على غيرها من السفن في البحر الأبيض المتوسط، ووجهوا حملات للنهب نت صقلية وجنوب إيطاليا، كما استطاعوا في سنوات لاحقة من مهاجمة روما ونهبها[90].

كان الاسترداد البيزنطي لبلاد المغرب قد جلب الخراب الى المنطقة، فقد أدخل الى افريقيا النزاع حول طبيعة السيد المسيح، ومنذ يوستينيانوس تبدأ الفترة البيزنطية في افريقيا، وهو الإمبراطور الذي حاول تهدئة الأوضاع وإنهاء النزاع والجدل الديني فحوكمت الطبيعة الواحدة واعتبرت هرطقة جديدة، وعندما بدأ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بدأ نزاع جديد في عهد الإمبراطور كونسطان الثاني وهو النزاع الذي فرق اتباع الديانة المسيحية الى فرق وطوائف مختلفة ومتنازعة فيما بينها[91].

وبهذا تفرق أمر المسيحيين في بلاد المغرب، واختلف اتباعها شيعاً وأحزاباً متفرقة فلم يلبث أن أرتد عن الديانة المسيحية الكثيرون، وضعف أثرها في الداخل[92].

بعد هذا الصراع العنيف والتشتت الغير محدود، انتقمت الكنيسة لنفسها في النهاية، باستدعاء البيزنطيين واعانتهم على طرد الوندال، لكن بعودة المنطقة الى حظيرة الإمبراطورية، فقدت الكنيسة الاستقلال الذي كانت تنعم به وكانت تحارب من أجله[93].

اهتمت الدولة البيزنطية اهتماماً بالغاً في إعادة المسيحية الى بلاد المغرب، فأعادت بناء كثير من الكنائس وأنشأت بعضها، وشجعت البعثات التبشيرية، فأخذت المسيحية تنشط من جديد، فانتشرت المسيحية بين بعض القبائل البربرية. غير أن الكنيسة الافريقية لم تكن خلال العصر البيزنطي على حال يبعث على الامل في مستقبل المسيحية في البلاد، فكانت ادارتها مختلة النظام، إذ تلاشى النظام الكنسي، واقترف القسس ذنوباً كثيرة، وأفعال مشينة تدل على الانحراف الديني، والعصيان أو التدهور الأخلاقي والفساد، والخروج على تعاليم الديانة المسيحية السمحة التي بشر بها السيد المسيح[94].

كان البيزطيون اقل مراسا من سابقيهم بالنسبة الى لشمال افريقية، وبذلك لم يستطيعوا بسط نفوذهم على المغرب الذي عرف ثورات مستمرة لم تنقطع، وظهر العديد من قادة هذه الثورات في ليبيا وجبال الاوراس، الذين كانوا قد تمردوا نتيجة لغدر الدولة البيزنطية بزعمائهم، واستمروا بثوراتهم حتى انتهت الى الجيش البيزنطي نفسه وتمرد قادته في مختلف الجهات، وانتهى الامر بشمال افريفية الى نوع من الاستقلال، في الوقت الذي كان فيه الصراع بين الشرق والغرب يمزق الامبرطورية البزنطية، كما كانت تمزقها الانقسامات الداخلية، ويهاجمها الأعداء من كل جانب[95].

وكانت الدوناتية وخصومتها المشبوبة مع الكنيسة البيزنطية عاملاً آخر من عوامل ضعف الكنيسة البيزنطية، إذ استطاع دعاتها أن يفروا الى داخل البلاد نجاةً من الاضطهاد الذي تعرضوا له، وهناك كانوا يثيرون الناس على الكنيسة البيزنطية، فيفر منهم الكثيرون، بل وأخذ البعض يعمد نفسه من جديد، وفق طقوس الدونانتيين[96].

اثر الانقسام الكنسي على تراجع المسيحية في المغرب:

اخذت الكنيسة الغربية تنهض نهضة عظيمة في ذلك الزمن بفضل جهود جريجوري الأكبر، وكانت الخصومة ناشبة بينها، وبين كنيسة بيزنطية، فوجد جريجوري في تفرق أمر المسيحية في افريقية فرصة طبيعية يتدخل بها في شؤون كنيسة افريقية ليكسب رعاياها الى صفه، فاستعان بقساوسة ذوي قدرة وشهرة عالية[97]، واستغل تسامح الامبرطور فاستعمل ما امكنه من قوة وقهر ضد مخالفيه من الشعب المغربي[98]، فأخذ عدد من مسيحيو افريقية يتجهون نحو روما، متأثرين بما كان جريجوري يذيعه فيهم من نداءات، وبما يبذله قساوسته من جهد وبما حرصت عليه الكنيسة الغربية من اغراء لأمر الدين والإخلاص في نشره، وبذلك ازدادت العلاقات العامة بين بيزنطة وبلاد المغرب ضعفاً على ضعف، بسبب هذا الانقسام الديني الخطير[99] ولم يلبث جريجوري أن حول هذا السلطان الديني الذي كسبه الى سلطان سياسي، فأخذ يتدخل في إدارة شؤون البلاد، ويتصدى للدفاع عن المظلومين وإنصاف ذوي الشكاوى في عصر كثر فيه المظلومون وقل من يسمع لشكواهم[100].

ومن ذلك الحين أخذت طائفة دينية من اتباع كنيسة روما تنشأ في بلاد المغرب، وتكتسب لمبادئها انصار يعتزون بها ويخاصمون فيها غيرهم من أصحاب المذاهب القائمة في البلاد، مما جعل المنازعات الدينية أحد وأقسى من المنازعات السياسية، وزاد في انحلال بلاد المغرب، وتفككها[101].

كانت منطقة المغرب والمناطق المجاورة لها تتعرض لموجات عاتية من الخلافات السياسية والدينية، اما في المشرق فان الامبرطورية البيزنطيين تمزقت وضعفت بسبب الحروب بينها وبين الفرس والعرب والتي انتهى بضعف القوتين الكبيرتين، ومهد لظهور قوة جديدة قوة الإسلام الذي سيجد قوة البيزنطيين في المغرب وما فوقها قد تحطمت، وصاحي ذلك ارتداد عدد كبيرمن المغاربة عن الديانة المسيحية الى الوثنية، التي حلت محل كل ما كان في المنطقة من خلافات بين المذاهب المسيحية المتشاحنة[102].

وبذلك أصبحت سياسة البيزنطيين قاضية على الآثار القليلة التي خلفها الرومان في نفوس أهل البلاد، بل دفعت هذه السياسة بالبربر البتر الى العدوان على الأقاليم البيزنطية، التي قامت فيها معالم الحضارة، ولو لم تكن المسيحية قد ثبتت بعض الثبات في عدد قليل من النواحي مثل الزاب وتلمسان وغيرها، لما كان للبيزنطيين آي أثر في حضارة بلاد المغرب، ولا مبالغة في القول أن الكثير من زراع البربر انصرفوا عن الزراعة، وهجروا المزارع والمدن، وعادوا الى ما كانوا عليه قبل دخول الرومان الى بلادهم[103] في المقابل تبين للاباطرة أن نظام الحكم الذي وضعه جستنيان لبلاد المغرب لم يحقق الاستقرار في البلاد، إذ استمرت الثورات، وأخذت تقلق البلاد، وتفصل أجزاء منها عن جسد الدولة، وأصبحت هناك قناعة لدى الحكام أنه لا بد من إيجاد نظام حكم جديد، ومناسب لحكم بلاد المغرب، بما يلائم أحوالها التي صارت اليها، وثبت في أذهانهم انه يجب أن يرعى في النظام الجديد تغليب الناحية العسكرية على الناحية المدنية[104] وجعل الأولى فوق الثانية، ومشرفة عليها بعكس النظام الذي رسمه جستنيان لحكم بلاد المغرب، وأقيم على كل ولاية حاكم عسكري له الاشراف التام على كل مرافقها وموظفيها، بما فيها الحاكم المدني القديم، وأقيم على الأقسام الإدارية الجديدة حكام عسكريون يلقبون بالادواق، وعلى المدن قواد عسكريون على رأس حاميات[105] ومما لا شك فيه أن تحويل بلاد المغرب من ولاية مدنية الى منطقة عسكرية كان نذير فشل للسياسة البيزنطية في بلاد المغرب، وإيذاناً بتجميد الجهود السليمة، والاصلاحية التي كان يرجى القيام بها من قبل الحكومة، وكذلك دليلاً واضحاً على قرب انسلاخ بلاد المغرب عن جسد الدولة البيزنطية كما أن الحكام العسكرين كانوا لا يترددون في أغلب الأحيان في الثورة على الدولة المركزية، والاعتصام منها بالجيوش التي تحت أيديهم، وإذا قامت بينهم وبين المركز خصومه، وزاد من خطر هذا النظام الجديد ان الدولة جعلت للحاكم العسكري الاشراف الكامل على جميع مرافق الولاية كبيرها وصغيرها من شؤون كنسية ومدنية[106].

نجح هذا النظام في أول الامر وانتظمت أمور البلاد في حدودها الجديدة، وسادها نوعا ما الهدوء لفترة من الزمن، وكان للمظهر العسكري أثره البالغ في القبائل البربرية، فلم تعد تستخف بالحدود البيزنطية، وكفت عن مهاجمتها للمراكز الحضارية الى حين من الزمن، ولكن البلاد أصبحت رهناً بإرادة من يولى عليها من الحكام العسكريين، الذين تمردوا في تلك الأقاليم، وأصبحت الدولة لا تملك قبلهم شيئاً،[107] مما أدى الى تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب، واضطراب الوضع العام فيما بعد.

وفي سنة 608م أقام موريس على افريقية البطريق هرقل الأرمني وهو قائد ماهر ومقاتل صلب، ندب لمعاونته في إدارة البلاد اخوة جريجونوس فبدءوا يعملون معاً ليعيدوا الأمور الى ما كانت عليه، ولكن هرقل لم يكد يبدأ يعمل حتى فوجئ بثورة في القسطنطينية، انتهت بمقتل مورس، وإقامة فوكاس امبرطوراً عليها[108] وكان الإمبراطور الجديد يعلم ما كان بين هرقل، وموريس من حب وولاء، لكنه آثر أن يدعه بحذر من الشر الذي قد يصيبه إذا هو اقدم على عزله، ولزم هرقل جانب الحياد حيال النظام الجديد، ولكنه لم يستطع ان يقف مكتوف الايدي امام ما كان يسمع به من مظالم فوكاس، فلم يلبث ان اتجه وجهه معادية، واخذ يعمل على الانفصال عن الدولة، وكانت أولى الخطوات التي اتخذها لبلوغ ذلك، ان حجز في قرطاجنة السفن التي تنقل القمح الى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في كل عام[109] فلم يلبث الموتورون من فوكاس ان اعدوه منقذاً للدولة، وتوجهوا بآمالهم نحوه، وانهالت عليه الرجى تستحثه الى المبادرة بإنقاذ الدولة مما صارت إليه[110] وبعث إليه مجلس شيوخ القسطنطينية يستحثه على النهوض على فوكاس[111]، وتخليص الناس من شره، لكن هرقل كان في ذلك الوقت عمره في الستين وقد علت به السن أن ينهض بعمل كهذا في وقت عم فيه الاضطراب ببلاد المغرب، فثارت طرابلس وبنطالس، وأقبلت القبائل البربرية على هرقل تستحثه على المضي في الامر، فبدأ بإرسال بعث أحتل بنطالس، ثم سير حملتين الى القسطنطينية، واحدة برية والأخرى بحرية[112]، وندب ابنه هرقل لإنقاذ الموقف فلم يجد ولده صعوبة في اسقاط فوكاس، والقبض على اشياعه، وتسليمهم للجمهور الساخط يفعل بهم ما يريد، فلما اتم ما ذهب اليه أحب أن يعود الى بلاد المغرب لكن رجال الدولة، واساقفتها ألحوا عليه في قبول التاج، حتى قبله، واحتفل بتويجه امبراطورا على القسطنطينية خلفا لفوكاس[113].

ساد الهدوء النسبي في بلاد المغرب خلال السنوات الأخيرة من الحكم البيزنطي، لأن هرقل الكبير أصبح ابنه إمبراطوراً، إذ صرفته شؤون الإمبراطورية، فزال الضغط عن سكان المغرب وشعروا بشيء من الحرية، واطمئنان الحال، وكان هرقل يعرف لأهل المغرب يدهم التي اسدوها إليه والى ابنه، وفضلهم فيما صار اليه من ملك وسلطان، لما كان من حسن عونهم له فيما أراد من اسقاط فوكاس، فأحسن معاملتهم، وتقرب منهم، فركنوا الى الهدوء والسكون، ويؤكد ذلك أن البلاد كانت اهدأ حالاً وأكثر ازدهاراً في ذلك الحين منها في أي وقت آخر من العصر البيزنطي[114].

في ظل هذا الهدوء النسبي، أخذت المسيحية تنتشر بين قبائل البربر، ولكن انتشارها لم يكن بفضل الكنيسة البيزنطية، وإنما سببه نهضة الكنيسة الغربية أيام جريجوري الأكبر، ونشاطها في ارسال البعوث التبشيرية الى بلاد المغرب، فتغلغل الرهبان ورجال الدين في الداخل، واستطاعوا أن يمدوا لواء المسيحية على كثير من القبائل البربرية، وإذا كانت الحكومة البيزنطية قد أخذت تنسحب رويداً رويدا من المواقع الداخلية، فقد أخذ القسس يحلون محل الحكام حتى أصبحوا على مر الأيام هم الحكام[115]، ومع هذا فان انتشار المسيحية في بلاد المغرب كان محدود بسبب الانقسامات الدينية التي كانت على اشدها في بيزنطة، وأخذ سعيرها يمتد فيحرق ولاتها بلظاه، وكان الروم قد فرقتهم المذاهب المختلفة شيعاً وفرقاً، تتصارع وتتحارب، وتهبط بالدولة الى أسفل، وكان يقتضي الواجب على هرقل أن يخلص بلاد المغرب من تلك الفوضى، فأخذ يتصل بكبار رجال الدولة في دولته، ويستطلع رأيهم، حتى استقر رأيه أخر الامر على اصدار مذهب وسط ترضى عنه الطوائف كلها، فلم يكد المجلس الديني الذي عقده في سنة 631م يصدر المذهب الجديد، حتى ثار الناس في بلاد المغرب عليه وانكروه، فلم يجد هرقل بداً من أن يستعمل الشدة في أرغام الناس على اتباعه، فاضطهد الكثير من رعاياه اضطهاداً شديداً[116].

وكان نتيجة هذا، أن اتجه اتباع الديانة المسيحية بآمالهم نحو الكنيسة الغربية، واتخذوا من أحبارها حماة يدفعون عنهم أذى الحكام وعنتهم، ومن ثم أصبحت روما سلطة جديدة في بلاد المغرب البيزنطية يحسب لها حساب، ويركن الناس إليها في كثير من أمور حكومتهم، فاعتمد الحكام على رجال الدين الذين لم يلبثوا أن سادوهم، ففي أوائل القرن السادس كان القساوسة يديرون افريقية، وكان هذا التدخل عاملاً قوياً جديداً من عوامل التنافر، وأي تنافر أغرب من ذلك. بلاد المغرب بلاد شرقية، يسيطر عليها بابا روما ويكون له من الاشراف على امورها، والتدخل في شؤونها. وفي الواقع لم يكن يربط افريقية بالدولة البيزنطية إلا علاقة واهية جداً في أواخر القرن السادس الميلادي، فقد كان الموظفون(117) البيزنطيون في مختلف النواحي الإدارية يميلون الى التحرر من سيطرة الإمبراطور البعيد عنهم، وانصرف الناس، الذين ثقلت عليهم وطأة الإدارة البيزنطية، وما كان يسودها من خلل، عن الامبرطورية البيزنطية، التي كادت تنزل بهم من الخراب، وبدأوا يتصلون بالكنيسة التي تحميهم بعض الشيء، وأخذت الكنيسة تحل سلطتها الإدارية شيئاً فشيئاً، فحلت السلطة الإدارية المركزية، وعملت على افساد الإدارة الحكومية، التي لم يكن ينقصها الاضطراب(118).

ونتيجة لهذه السياسة انتشرت المسيحية بين بعض القبائل البربرية، وكان من المنتظر ان يكون هذا الانتشار سبباً جديداً من أسباب الاتصال بين الامبرطورية البيزنطية، ومملكتها في افريقية، ولكنه كان كما رأينا فاصلاً لا رابطاً، لأنه زاد بلاد المغرب بعداً عن بيزنطة، وقربها الى روما. ومما لا شك فيه أن البابوية نفسها كانت ترمي الى بعض هذا، حين كانت تبذل الجهود لتقطيع افريقية عن الكنيسة الشرقية، إذ كان الخلاف بين الكنيسة الشرقية، والبابوية في ذلك الوقت شديداً جدا(119).

مات هرقل وتولى قسطنطين الثالث عرش الامبرطورية، وكان عدواً للمذهب الذي ابتدعه هرقل، فلم تكد شكوى أساقفة افريقية تصل الى علمه حتى أمر بإخراج الرهبان الذين يرفضون العودة الى أحضان الكنيسة من الأديرة، ومصادرة أملاك الاديرة الخارجة، وبهذا انقلب الحال ونزل الاضطهاد باشياع الإمبراطور القديم، وكان جريجورس نفسه أرثوذكسياً، فرض نفسه عن حكومة القسطنطينية، فخيل للناس ان ما ضعف من علاقات لابد من تقويتها مرة أخرى بين بيزنطة وبلاد المغرب(120)، لكن قسطنطين قتل في سنة 641م وتحطمت آمال المتفائلين به، وكانت الإمبراطورة مارتينه التي قيل أنها دبرت موت قسطنطين ليتولى ابنها هرقل الصغير مكانه كانت على مذهب هرقل، فبدأت ترد الى الارثوذكسية ما اسلفت من اذى الى مذهبها، فتوترت العلاقات مرة أخرى بين جريجوريوس والدولة من جديد(121).

وفي حوالي سنة 640م اقبل على افريقية رجل من اشهر رجال الدين في القرن السابع، إذ كان له فيما بعد اثر بعيد في مصير افريقية السياسي والديني، وهو الراهب مكسيم، وكان مكسيم قد زار الإسكندرية قبل مجيئه الى المغرب في صحبة صفرونيوس ورأى بعينه الاضطهاد الأكبر الذي كان قيرس ينزله بقبط مصر، فعقد النية على تخليص الناس من هذه الدولة التي تزهق أرواح الناس بمذاهبها واهوائها، وكان صيته قد سبقه الى المغرب قبل قدومه اليها، فلم يكد يصل اليها حتى اجتمع الناس على الترحيب به، فأخذ يبث بين رهبان المغرب تعاليمه الدينية، ليعد هؤلاء القساوسة السذج البسطاء الذين اضعفهم الانقسام بالخلاص، لكي يكافحوا ويثبتوا(122) لمهاترة البيزنطيين، واقتدارهم على السفسطة في أمور الدين، وبهذا عقد الراهب مكسيم آماله على اهل المغرب للنجاة مما يراد بهم من سوء فاشتد ساعده بولائهم، وصارح الدولة بأن الله لن يرضى عن الإمبراطورية الرومانية ما دام هرقل وآله على عرشها(123).

لقيت هذه الآراء هوى في نفس جرجريوس، فأخذ يبذل العون لمكسيم، ويشجعه على الاستمرار، فيما هو آخذ فيه من مناهضة الدولة، وصرف الناس عنها، فلم يكد رهبان المغرب يرون أنهم في امن من غدر الدولة بحماية جريجوريوس، حتى اجتعوا ووجهوا للإمبراطور خطاباً يسألونه ان يترك ما هو سائر فيه من ابتداع وإفساد في الدين(124).

كذلك صادفت حركة مكسيم قبولاً لدى البابوية، فلم تتردد في بذل العون له حتى يستطيع أن يثبت امام الكنيسة الشرقية، وكان مكسيم يميل للبابوية، ويحببها الى اتباعه، حتى صار للبابوية في المغرب مكان لا تكاد تطمع فيه الكنيسة

الشرقية، وبذلك تكون الدولة البيزنطية قد جنت على نفسها بتدخلها في شؤون الدين، وعبثها برعاياها، الذين اسلمتهم الى البابوية من الناحية الدينية، كما ستسلمهم للعرب الفاتحين من الناحية السياسية[125].

وبذلك كانت الظروف كلها مواتية لجريجوريوس ليخرج على الدولة[126]، ويبدوا أنه كان قد عقد العزم على ذلك منذ أن مات قسطنطين الثالث، وأصبح الامر[127] الى مرتبنه وأبنها هرقلوناس، فلم يكد البابا ثيودور يلمح منه هذا الميل حتى صارحه قائلاً: "بأن الله يرضى عن ثورته ويقدر له التوفيق فيها[128]، وأهاب بالقسس فأحاطوا بجرجوريوس يستحثونه على المبادرة بإنقاذ ذلك الامر، بيد أن طائفة أخرى من قساوسة المغرب، لم يرضوا عن هذا الانفصال، ومن المؤكد أن مخاوف هذا الفريق لم يكن مرجعها الى الكنيسة الشرقية، وإنما كان سببها الخوف من الفتح الإسلامي الذي كان قد أتى منذ ثلاث سنوات على برقة وطرابلس، وأخذ ينذر بلاد المغرب بفتح قريب[129].

كانت هذه حال الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح العربي الاسلامي، مذاهب منشقة، وجدل بيزنطي، ونزاع سياسي بغطاء ديني، كما يحدث حاليا في كثير من البلدان، ومنافسة بين الكنيسة البيزنطية، والكنيسة الكاثوليكية، وكانت سياسة الروم في المغرب سبباً في القضاء على ما كان قد انتشر من الديانة المسيحية بين أهلها، فوقف سكان بلاد المغرب موقف العدو من كل ما يتصل بالرومان من حضارة ودين. وأصبحت بلاد المغرب مهيئة لاستقبال الفاتحين العرب المسلمين كما ان تنوع مناطق الشمال الافريقي وانعزالها بعضها عن بعض ولد نزعة انفصالية قبلية كان نتيجته نوع من الانعزال الديني والسياسي الذي تميز به سكان المغرب الاصليين[130].

الخاتمة:

اعتنق سكان بلاد المغرب مظاهر دينية مختلفة كان لها ارتباط في بيئتهم متأثرين بمظاهر الطبيعة المتنوعة فعبدوا الجبال والكهوف والمغارات والرياح والحيوانات لاعتقادهم ان هذه الأرواح تسكن فيها وان هذه الأرواح هي التي تجلب اليهم السعادة والرزق.

تميزت القرون الأولى للاحتلال الروماني لبلاد المغرب بمحاولات فرض الثقافة الرومانية على جميع مظاهر الحياة اليومية لدى سكان المغرب المتمثلة في نشر اللغة اللاتينية، والديانة الوثنية القائمة على أساس عبادة الإمبراطور في بداية الامر، وإظهار الطاعة، والولاء له، وفي خضم هذه المعطيات بدأت الديانة المسيحة بالانتشار في البلاد عبر منافذ متعددة من الشرق، كديانة لا تعترف بعبادة الإمبراطور او قدسيته، مما دفع الاباطرة الأوائل الى اضطهاد العناصر المتنصرة، في الوقت الذي وجد المتنصرين في المسيحية ملاذاً لهم من الأوضاع القاسية التي يعيشونها، كما استغل المسيحيون من سكان بلاد المغرب تلك الإضطهادات في تقوية روابط التضامن فيما بينهم. وكذلك شكل العامل السياسي دافعاً لتلك الفئات الى التنصر كشكل من اشكال العداء للسلطة الوثنية خاصة وان مسيحيي المغرب كانوا من اكثر المسيحيين تعرضاً للإضطهاد، وقدموا العشرات من الضحايا لاعتقاد السلطة بأنهم يهددون الوجود الروماني في بلاد المغرب.

لكن الوضع تغير باعتناق الإمبراطور قسطنطين الديانة المسيحية كمحاولة لاحتواء المسيحيين، وإنقاذ موقفه المتعثر امام خصومه داخل الإمبراطورية، وقد أعطت السلطات للأساقفة حق التقاضي، وإصدار الاحكام في النزاعات، التي تعرض عليهم، بهدف توجيه النشاطات الدينية لخدمة السلطة، المتمثلة بوجوب الطاعة ولاذعان للإمبراطور، ولكن حدث شقاق، ونزاع بين الأساقفة أدى الى ظهور حركة منشقة بقيادة دوناتوس الذي لعب دوراً مهما في هذا الصراع عندما كان اسقف قرطاج، واعتبر الدوناتيون انفسهم احق بإدارة الأسقفية، وبأنهم الممثل الشرعي، والوحيد للمسيحيين في بلاد المغرب.

إن الصراع الدوناتي الكاثوليكي قام على أساس العداء للسلطة اوكسبيل للخروج على الدولة الرومانية، وقد كان لهذا الصراع نتائج سلبية على السلطة، وزاد من عداء الأهالي للسلطات الرومانية الحاكمة، كما زاد من شعبية، وقوة الحركة الدوناتية التي تحولت فيما بعد الى حركة وطنية معارضة للوجود الروماني في بلاد المغرب. وكانت تهدف الى القضاء على الوجود

الروماني، وتحرير بلاد المغرب من السيطرة الرومانية، الامر الذي أعاق انتشار الديانة المسيحية بشكل واسع قبيل الفتح الإسلامي الذي انهى الوجود الروماني في بلاد المغرب ونشر فيها العروبة الإسلام الذي يدين به معظم سكان المغرب الي يومنا هذا.

الهوامش:

1- سالم، تاريخ المغرب الإسلامي، ص.44

2- مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص20.

3- العميد، آثار المغرب والأندلس، ص28.

4- العبادي، تاريخ المغرب الأندلس ص14.

5- ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص.144

6- العميد، آثار المغرب والأندلس، ص29.

7- العميد، آثار المغرب والأندلس، ص29.

8- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص14.

9- العميد، آثار المغرب والأندلس، ص30.

10- العميد، آثار المغرب والأندلس، ص.30

11- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص18.

12- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ص19.

13- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص42.

14- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص19.

15- العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص19.

16- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص55.

17- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص44.

18- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص56.

19-اندريه نايتون وآخرون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص.20

20- الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص34.

21- اندريه نايتون وآخرون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص21.

22- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص69-70.

23- دونالد درلي، حضارة روما، ص5.

24- سليم عبد الحق، روما والشرق الروماني، ص40.

25- ول ديورنت، قصة الحضارة، مجلد3، ج1، ص124.

26- دونالد درلي، حضارة روما، ص 24.

27- دونالد درلي، حضارة روما، ص24.

28- فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، ص 22.

29- سليم عادل عبد الحق، روما والشرق الروماني، ص42.

30- ول ديورنت، قصة الحضارة، مجلد3، ج1، ص 125.

31- ول ديورنت، قصة الحضارة، مجلد3، ج3، ص122.

32- سيد احمد الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص109.

33- عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني، ص87.

34- عبد اللطيف احمد علي،التاريخ الروماني، ص203-204.

35- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص112.

36- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية، ص100.

37- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص223. العروي، مجمل تاريخ المغرب،ج1، ص66.

38- خطاب،قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص39.

39- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص223-234.

40- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص ص39-40.

41- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، ص121.

42- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص60.

43- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص224.

44- المدني، قرطاجة في أربعة عصور، ص113.

45- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص224-225.

46- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص224.

47- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص113.

48- روني باصي، أبحاث في دين الامازيغ، ص72.

49- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص113.

50- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص100.

51- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص225.

52- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص100.

53- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص113.

54- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص225.

55- المدني،قرطاجنة في أربعة عصور، ص113.

56- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص225.

57- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص226.

58- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص40.

59- عمران عبدالحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص124.

60- حارش،التاريخ المغاربي القديم، ص227.

61- حارش، التاريخ المغاربي القديم، ص227-228.

62- خطاب،قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص40.

63- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص114.

64- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج2، ص73.
65- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص114.
66- الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ج2، ص73.
67- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، ص120.
68- توماس أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص145.
69- توماس، الدعوة الى الإسلام، ص145.
70- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص29.
71- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص115.
72- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص290.
73- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص115.
74- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص290.
75- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص 115.
76- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص 115.
77- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص75.
78- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص66.
79- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص66.
80- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص41.
81- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص67.
82- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص 290.
83- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص290.
84- المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، ص209.
85- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، ص290.
86- روني باصي، أبحاث في دين الامازيغ، ص25.
87- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص41.
88- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص67.
89- العربي عقرون، الامازيغ عبر التاريخ، ص41.
90- الفيلالي،التاريخ السياسي،ج1، ص307-308.
91- العربي عقرون، الامازيغ عبر التاريخ، ص41.
92- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص41.
93- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص67.
94- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص30.
95- الفيلالي،التاريخ السياسي للمغرب الكبير،ج1،ص311.
96- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص41.
97- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص31.

98- الفيلالي التاريخ السياسي للمغرب الكبير،ج1، ص312.
99- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص31.
100- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص31.
101- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص42.
102- الفيلالي، التاريخ السياسي للمغرب الكبير، ج1،ص314.
103- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص32.
104- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص32.
105- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص42.
106- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص33.
107- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص33.
108- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص43.
109- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص34.
110- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص43.
111- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص34.
112- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص35.
113- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص43.
114- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص36.
115- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص36.
116- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص44-45.
117- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص37.
118- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص38.
119-مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص38.
120- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص45.
121- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص45-46.
122- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص45.
123- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص46.
124- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص46.
125- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص46.
126- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1،ص46.
127- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص46.
128- مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص46.
129- خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ص47.
130-الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص56.

المصادر والمراجع:

1- ابن الخطيب، الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت 774 هجري). معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار؛ تحقيق محمد كمال شبانة، المغرب: مطبعة فضالة، المحمدية.

2- باصي،روني، أبحاث في دين الامازيغ، ترجمة وتقديم حمو بو شخار، مطبعة النجاح الجديدة ط1 2012م.

3- بل، ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم؛ ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

4- توماس، أرنولد، الدعوة الى الإسلام، الطبعة الثانية، القاهرة 1957.

5- دونالي درلي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي، وفاروق فريد، ومحمد صقر خفاجة، نهضة مصر.

6- الجيلالي، عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام._ ط 4، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م/1402هـ.

7- حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية، 1992.

8- حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، القاهرة: دار الفكر العربي 2001.

9- خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ط 7، بيروت: دار الفكر 1984م/1404هـ.

10- فوستيل، دي كولانج، المدينة العتيقة (دراسة لعبادة الاغريق والرومان وشرعهم وانظمتهم)، ترجمة عباس بيومي مراجعة عبد الحميد الدواخلي، مكتبة النهضة المصرية.

11- الفيلالي، عبد الكريم، التاريخ السياسي العربي الكبير، ج1، ط1، شركة ناس، القاهرة، 2006.

12- سالم، السيد عبد العزيز، المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993م.

13- سيد احمد الناصري، تاريخ وحضارة الرومان (من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية) ط2، سنة 1982م.

14- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب و الأندلس._ الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

15- عقرون، محمد العربي، الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للطباعة، الرباط، 2010.

16- عبد الحق، عادل سليم، روما والشرق الروماني (العهد الجمهوري حتى نهاية قيصر) المطبعة الهاشمية، دمشق، 1959م.

17- عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني (عصر الثورة) دار النهضة العربية 1967م.

18- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم – النشأة والتطور (180–430م) رسالة دكتوراه، جامعة منتوري – قسنطينة، الجزائر، 2011.

19- العروي،عبد الله، مجمل تاريخ المغرب ج1، ط 1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1994م.

20- العميد، طاهر مظفر، آثار المغرب و الأندلس، العراق: وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، 1989م.

21- الفيلالي، عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج1، ط1، 2006، القاهرة، شركة تاس للطباعة.

22- مؤنس، حسين: أ. معالم تاريخ المغرب و الأندلس ط 1 القاهرة: دار و مطابع المستقبل، 1980م.

ب. فتح العرب للمغرب، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية.

23- المدني، احمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة الى عصر الفتح الاسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية 1986م.

24- نايتون، أندريه، وأدغار ويند، وكارل غوستاف يونج، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سمير عربي الزين، منشورات المعهد الدول للدراسات الإنسانية.

25- الهلالي الميلي، مبارك ابن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 1963م.

26- ول ديورنت، قصة الحضارة ترجمة د. زكي نجيب محمود، محمد بدران وغيرهما لجنة التاليف والترجمة والنشر.